القســـم الأول

عشـــــــية الواقــعــة

الدبلوماسية ليست مجرد كلام..إنها أفعال تقع على الأرض في المسافة ما بين أقدام الجنود ونيران المدافع، وإذا انقطعت الصلة في ميدان الصراع بين الكلمات وحركة الجنود، لا يعود ما يحدث دبلوماسية .. بل مكائد وأفخاخ وإضاعة للوقت...

ثمة مشهد قديم يتكرر مرة أخرى، لكن أشياء كثيرة اختلفت في الظروف المحيطة بالمشهدين ..

الأول : لقاء جرى يوم 16 نيسان "إبريل" 1988 في أحد منازل الرئيس صدام ضمه وصهره ومدير الإستخبارات ورئيس الأركان وقائد الحرس الجمهوري لوضع خطة عسكرية تهدف إلى استعادة شبه جزيرة الفاو جنوب العراق بعد إحتلال إيراني استمر سنتين ..

الثاني : لقاء جرى منتصف تموز "يوليو" 1990 في منزل آخر للرئيس نفسه وضم إلى جانبه صهره حسين كامل وقائد الحرس الجمهوري إياد فتيح الراوي لوضع خطة عسكرية مركبة تهدف إلى إحتلال الكويت، أو جزء منها، أو التوسع إلى ما هو أبعد من ذلك، وانضم إليه علي حسن المجيد إبن عم الرئيس ووزير الحكم المحلي يومئذٍ.

أكثر من سنتين تفصل بين هذين المشهدين تمخض عن كل منهما تحولٌ حاسم في الوضع السياسي والعسكري للبلاد، وقد يكون خطر في بال الرئيس صدام أنه سيجني من اللقاء الثاني نتائج مماثلة لتلك التي حصل عليها من اللقاء الأول، لكن لا لقاء يشبه الآخر إلا في وجود الرئيس وبعض الأشخاص الذين حضروا اللقاءين. كانت الحاضنة النفسية والسياسية التي ولد فيها قرار إستعادة شبه جزيرة (الفاو) من أيدي الإيرانيين نقيضةً في كل تفاصيلها لتلك التي ولد فيها قرار اجتياح الكويت واحتلالها. في (الفاو) كان هناك تأييد شعبي مطلق لإستعادة أرض وطنية وطرد الغرباء الذي مكثوا فيها سنتين من الزمن وتحمل العراق أكثر من خمسين ألف ضحية للدفاع عنها ثم استعادتها، كما كان هناك تأييد خارجي شبه مطلق يتقدمه تأييد خليجي انطوى على تعبيرات سياسة وعسكرية وإعلامية وإقتصادية، أما احتلال الكويت فلم يكن موضوعاً مستقطباً لتأييد شعبي وكان يعني اجتياحاً لأرض الغير، وقد قوبل بالرفض والإدانة في العالم، وإذا كانت القوات العراقية قد تحركت في إتجاه الفاو لتشتبك مع قوات إيرانية تحتل أرضاً وطنية فإن الأمر في حالة الكويت كان ابتداعاً لمعركة غير مسبوقة أُرغم فيها الجندي العراقي على الإشتباك في قتالٍ كان محرماً في عقله، ألا وهو القتال في مواجهة عربي آخر .. ولتعميق المقارنة بين الطريقة التي أُديرت بها علميات تحرير مدينة الفاو من الإحتلال الإيراني في نيسان "إبريل" 1988 والطريقة التي أُديرت بها عملية دخول الكويت في آب "أغسطس" 1990 ينبغي معاينة أسماء المخططين والمنفذين في كلٍ من العمليتين.

ففي عملية الفاو إطلع على ساعة الصفر المساعدون المباشرون لرئيس الجمهورية بمن فيهم رئيس الأركان ومعاونه ورئيس الإستخبارات العسكرية رئيس هيئة التصنيع العسكري وقائد الطيران.

واشترك في قيادة العمليات أكثر من ثلاثين عسكرياً أُحيطوا علماً بتفاصيل الخطة قبل أربع وعشرين ساعة على الأقل من ساعة التنفيذ، وطبقاً للائحةٍ رسمية فإن أثنين وثلاثين شخصاً يتقدمهم وزير الدفاع الأسبق الفريق أول الركن عدنان خيرالله و رئيس الاركان الفريق أول الركن نزار الخزرجي تعاونوا على تنفيذ الخطة، ولم يكن بينهم من أقارب الرئيس عدا وزير الدفاع نفسه وولداه عدي وقصي، أما الآخرون فكانوا سبعة من الضباط المتحدرين من مدينة الموصل وإثنان من مدينة ديالى وإثنان من مدينة عانة وإثنان من بغداد وواحد من كلٍ من راوه والدور وكركوك والبصرة والعمارة، بمعنى أنّ دائرة الأشخاص الذين اطلعوا على الخطة وعرفوا مسؤولياتهم في تنفيذها لم يكونوا من الدائرة العائلية المغلقة حول الرئيس وحسب ،كما لم يكونوا من بلدته فقط ، بل اشترك فيها قادة عسكريون محترفون يعكسون عدداً من ألوان الطيف الجغرافي والإجتماعي في العراق×.

× بعض المشاركين في عملية الفاو :1-الفريق أول الركن عدنان خيرالله وزير الدفاع 2-الفريق أول الركن نزار الخزرجي رئيس أركان الجيش 3-الفريق أول الركن حسين رشيد معاون راج للعمليات 4-الفريق أول الركن إيـــاد فتيح الراوي قائد الحرس الجمهوري 5-الفريق أول الطيار حميد شعبان قائد القوة الجوية 6-اللواء الركن إبراهيم عبدالستار قائد قوات حمو رابي 7-اللواء الركن عبدالواحد شنان آل رباط قائد قوات بغداد 8-اللواء الركن علاء الدين كاظم حماد الجنابي أمين السر العام ق ع ق م 9-اللواء الركن عبدالستار أحمد المعيني معاون راج للإدارة 10-الفريق الركن ماهر عبدالرشيد قائد فل 7 11- الفريق الركن ضياء الدين جمال معاون راج للميرة 12-الفريق الركن يونس محمد الذرب مدير التخطيط 13- الفريق الركن صابر الدوري مدير الإستخبارات العسكرية العامة 14-الفريق الركن صلاح عبود محمود رديف قائد الفيلق السابع 15-الفريق الطيار الركن الحكم حسن علي مدير طيران الجيش 16-الفريق الركن أحمد إبراهيم حماش قائد قوات المدينة المنورة 17-الفريق الركن نجم الدين عبدالله محمد مدير الحركات العسكرية آنذاك 18-الفريق الركن يالجين عمر عادل رديف قائد ق ح ج 19-الفريق الركن محمود فيزي الهزاع رديف قائد فق 1 20-اللواء الركن كافي فليح حسن العاني أمين سر فرع ذي قار العسكري 21-اللواء الركن نوفل إسماعيل خضير قائد فق مع /6 22-اللواء الركن وعدالله مصطفى حنوش قائد القوات الخاصة 23-اللواء الركن لطيـف محل حمود أمين سر شعبة الحرس الجمهوري 24-اللواء الركن غائب حسون غائب قائد القوة البحرية 25-اللواء الركن أزهر سعدالله خليل قائد قوات نبوخذ نصر 26-عبدالجبار محسن مدير التوجيه السياسي 27-حسين كامل رئيس التصنيع العسكري. إضافة إلى ولدي الرئيس وأربعة من مرافقيه ..

أما في عملية الكويت فإنّ الأشخاص الذي اطلعوا على الخطة للمرة الأولى كانوا ثلاثةً فقط إثنان منهم من الدائرة العائلية المحيطة بالرئيس وهما ابن عمه علي حسن المجيد وصهره حسين كامل وكلاهما غير مؤهلين في الإحتراف العسكري ولم تزد رتبتهما العسكرية – قبل صعودهما المفاجئ إلى أعلى المواقع – عن درجة رقيب ونائب ضابط وحسب، أما الشخص الثالث فكان وجوده في الخطة إضطرارياً كونه يشغل منصب رئيس الحرس الجمهوري وهو الفريق أول الركن إياد فتيح الراوي، وعندما اتسعت دائرة الأشخاص المطلعين على الخطة عشية تنفيذها انضم بعض الأقارب إلى تلك الدائرة، ولم يكن في صورة ما سيحدث كلّ من وزير الدفاع ورئيس الأركان وقائد طيران الجيش وجميع القادة الميدانيين، وهو أمرّ أدى تلقائياً إلى نشوء حاجزٌ عازل بين العملية والأشخاص الذين طُلب إليهم في الساعات الأُول تولي مهمات تنفيذها، وهو حاجزّ نفسي وأخلاقي جعلهم يشعرون بعدم الإنتماء إلى العملية ومنعهم من الإقتناع بأهدافها، وهو ما أنشأ سلسلةً من المواقف المضطربة التي لم تنته حتى إنتهاء العمليات العسكرية في السادس والعشرين من شهر شباط "فبراير" 1991 عندما انسحبت القوات العراقية من الكويت بطريقة غير منظمة وتحملت آلاف الضحايا في الساعات الثماني والأربعين الأخيرة فقط ..

●●●

وقد يكون واضعو خطة دخول الكويت تنبهوا مبكراً إلى إستحالة تمرير العملية دون إبتكار غطاء سياسي مثل الإعلان عن إنقلاب داخل الكويت إستنجد بقوات عراقية لمساندته، وقد أوحى كلّ من طارق عزيز ولطيف نصيف من جهة ومدير جهاز المخابرات من جهة أخرى أن هناك قوى محلية في الكويت مستعدة للتعاون مع الحكومة في بغداد لإنجاح سيناريو إعلان الإنقلاب، وربما يكون الثلاثة قد اعتمدوا على عواطف بعض مُلاّك الصحف والصحفيين الكويتيين وعلى إحتمال تعاون بعض أعضاء البرلمان الكويتي لسنة 1985 وعلى إعتقادهم بحتمية تعاون ما تبقى من خلايا في تنظيمات حزب البعث فرع الكويت.

هذه الفكرة ليست جديدة، فقد كانت النمط المفضل لدولٌ إفريقية حاربت بعضها البعض في السبعينات، كما خاض الرئيس صدام حسين نفسه في تجربةٌ مماثلة عندما أعطى أوامره للجيش العراقي للإندفاع بإتجاه مدينتي (كرند) و (كرمنشاه) الإيرانيتين منتصف 1988 حيث فتحت القوات العراقية الطريق أمام منظمة مجاهدي خلق الإيرانية المعارضة لتصل إلى حافات المدينتين على أمل أن تتخذ منهما قاعدة لإسقاط الحكم في إيران بعد أن جرى الإتصال بعدد من الطيارين الإيرانيين لمهاجمة مقرات القيادة الإيرانية في طهران، يومها أدرك الإيرانيون أبعاد تلك الخطة فحولّوا كل قدراتهم العسكرية إلى جبهة(كرند) – (كرمنشاه)واستحال عندئذٌ نجاح تلك الخطة .. فتراجع (مجاهدو خلق) وانسحبت القوات العراقية.

لكن لا حدث يشبه الآخر ..

فقد نفذت خطة (كرمنشاه) قواتّ إيرانية معارضة وبعد ثماني سنوات مستمرة من الإشتباك بين الجيشين العراقي والإيراني في حربٌ كانت تبرر اللجوء إلى كل الوسائل المتاحة لقصم ظهر الخصم، أما في حالة الكويت فلم تكن هناك حرب قائمة ولم تكن هناك قوات كويتية معارضة .. لا بل لم تكن هناك جبهة سياسية معارضة تطرح في برنامجها مشروع الإنقلاب.

لذلك لم يكن ثمة رحمّ يلد منه إنقلاب الكويت المنتظر ..

●●●

ثمة مشهد آخر يعود إلى عشر سنوات مضت لكنه يخلو من وجود شخصيات مشابهة لتلك التي شاركت في الإعداد لعمليتي (الفاو) و (الكويت).

فقد حدد الرئيس صدام حسين مستقبل المواجهة العسكرية مع إيران خلال إحدى خلواته على ضفاف بحيرة الثرثار بعد أن دخل عليه ضابط من الإستخبارات العسكرية يحمل عرضاً بالقدرات الحربية لكل من العراق وإيران وتركيا، إلى جانب سجل بالتحرشات الإيرانية على الحدود، وانتهى ذلك التقرير إلى أن هناك عدواً محتملاً هو تركيا وآخر قائماً هو إيران، ولم يعد الرئيس لإستشارة الجنرالات أو السياسيين لمساعدته

على إلتقاط أفضل الخيارات المتاحة أمام العراق في مواجهة التحدي الإيراني، فقد كان حوله بضعة حراس غير متعلمين وسـلـةّ مـلآى بما اصطاده من أسماك البحيرة عندما قرر لوحده إرتضاء المواجهة العسكرية بدلاً من إحتواء الخطر الإيراني عبر الجهد الدبلوماسي والسياسي والأمني وحسب ..

في تلك المرة، لم يكن الأقارب قد بلغوا من العمر ما يجعلهم على مقربة من الرئيس في إتخاذ ذلك القرار .. ولم يكن هناك أبناء متنفذون ولا أصهار طامحون كما بات الحال في مشهدي الإعداد لإستعادة (الفاو) والذهاب إلى (الكويت) ..

من تبقى من أشخاص ذينك المشـــهدين الحاسمين في تاريخ العــــــــراق .. ؟

.. ثلاثة أشخاص شاركوا في الإجتماعين كان الرئيس صدام حسين يردد دائماً : (إنه يتفاءل بوجودهم ..) .. وهم حسين كامل الذي انشق عن العائلة ولجأ إلى الأردن في آب "أغسطس" 1995، ثم أُستدرج للعودة بعد إعلان العفو الرئاسي عنه ليُقتل مع معظم أفراد عائلته في شباط "فبراير" 1996، وإياد فتيح الراوي الذي عُزل من منصب رئيس الأركان ولزم داره مطلع 1995 حتى عُين محافظاً للتأميم سنة 1996، وصابر الدوري الذي طُرد من منصب مدير المخابرات بعد خلاف بين مجموعتي (الدوريين) و (التكارتة) مطلع سنة 1994 ثم عُين محافظاً لكربلاء سنة 1996.

●●●

كان التفكير في إحتلال الكويت سبباً في إستعادة على حسن المجيد بعض الحظوة التي افتقدها يومئذٍ بعد أن غضب عليه الرئيس أثر افتضاح قضايا مالية كان ابن شقيقته وعديله المتزوج من إبنة الرئيس السابق أحمد حسن البكر ويُدعى (ثائر عبدالقادر سليمان×) متورطاً فيها، مما حدا بالرئيس إلى طرد (ثائر) من عمله في طواقم الحماية الرئاسية وإيداعه السجن وعرض شريط تلفزيوني يصوّره كنصّاب (يستغل علاقته) مع كبار المسؤولين، يومها أُتهم علي حسن بأنه كان يستخدم ابن شقيقته(وعديله)كغطاء لعملياته المالية دون إذن مسبق من الرئيس، وبحلول شهر حزيران "يونيو" 1990 بات مرشحاً للخروج من وزارة الحكم المحلي، لكن صدام تذكره كواحد من أشخاص قلة يمكن أن يأتمنهم على قرار دخول الكويت فأستدعاه يوم السادس عشر من تموز "يوليو" 1990 لينضم إلى ذلك اللقاء المحدود الذي جرى فيه لأول مرة في تاريخ العراق رسم خطتين عسكريتين، إحداهما سُميت (الخطة أ) والثانية (الخطة ب) لتحديد حجم العمل العسكري الهادف إلى إحتلال الكويت أو جزء منها.

وتقضي الخطة (أ) بالسيطرة على جزيرتي (وربة) و (بوبيان) والشريط الحدودي بعمق 30 – 50 كيلومتراً كحد أقصى، أما الخطة (ب) فتقضي بالإندفاع لإحتلال كامل الأراضي والجزر الكويتية. وظلت (الخطة أ) هي المرجحة حتى يوم 1990/7/29 عندما وردت تقارير جهازي المخابرات والإستخبارات العسكرية من داخل الكويت واتفقت على (عدم وجود إستعداد للمواجهة العسكرية) وعلى (أن الولايات المتحدة لا تملك قوات كافية قرب الكويت تستطيع إجهاض عملية واسعة لإحتلالها كاملة.)

ولذلك تحول القرار لإختيار الخطة (ب) يوم 1990/7/29.

إن بين التاسع والعشرين من تموز والثاني من آب ساعات حاسمة كانت تجري فيها وقائع، سيبدو من المفجع أن أحداً لم يرها أو يتحسسها، إذ أنها مقدمات العمل العسكري الواسع لإكتساح الكويت .. وبعبارات أخرى، كان ما يجري هو إعداد لمشهد تفجير الصراع العسكري على الخليج .. ؟

لقد اتسعت آنذاك دائرة الأشخاص الذي أطلعوا علي القرار الذي كان قد أُتخذ منذ إثنى عشر يوماً : إحتلال الكويت .. حيث تبلّغ سبعاوي إبراهيم مدير المخابرات والأخ غير الشقيق للرئيس بذلك القرار بعد يومين من إتخاذه وكان عليه أن ينفذ جانباً من عملية عسكرية وأمنية واسعة النطاق كان أبرز ما فيها تسريب 31 عنصراً من رجال المخابرات (سبق لمعظمهم أن عمل في الكويت من قبل) إلى داخل المدينة حيث استخدموا جوازات سفر عادية وأخرى من جنسيات عربية وتوزعوا على دور للسكن في منطقة (سلوى) وفي منازل المهندسين في

(الأحمدي) كما أقاموا في منازل بعض الدبلوماسيين، وكانت مهمتهم غير واضحة .. فقد طُلب إليهم أن يكونوا مستعدين لعمليات إختطاف واغتيال، وكذلك كان الأمر بالنسبة لصابر الدوري مدير الإستخبارات العسكرية الذي علم بالقرار في اليوم الأول لإتخاذه وكانت عليه مهمات مبكرة سبقت الأجهزة الأمنية الأخرى ،ومن بين المهمات التي تولاها البحث عن نقطة داخل الأراضي الكويتية لتنصب فيها مرسلات إذاعية يتم استخدامها لبث بيانات الإنقلاب المفترض، كما بات وزير الإعلام لطيف نصيف ونائب رئيس الوزراء سعدون حمادي ووزير الخارجية طارق عزيز في صورة الموقف وعلموا أن هناك عملية عسكرية كبيرة في إتجاه الكويت، أما حجمها ومداها فلم يكن موجوداً لديهم كما كان لدى علي حسن المجيد وحسين كامل وسبعاوي إبراهيم وصابر الدوري وحسين رشيد التكريتي وسكرتير الرئيس حامد حمادي.

في تلك الساعات لم تعقد القيادة العراقية (المكونة من جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث) غير اجتماع واحد استمعت خلاله إلى ملاحظات الرئيس حول اللقاء الذي سيعقد في جدة بين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة السيد عزة إبراهيم وولي العهد الكويتي الشيخ سعد العبدالله الصباح، وتحاشي الرئيس في الإجتماع القول صراحة بأن هناك عملية عسكرية محتمة لكنه قال : (سنرى ما يتمخض عنه لقاء جدة ثم نتصرف في ضوء ذلك) وعندما خرج المجتمعون لم يكن لديهم إحساس قاطع بأن قراراً بإحتلال الكويت قد أُتخذ بغض النظر عن نتائج لقاء جدة.

كان الرئيس صدام هو أكثر الأشخاص قلقاً من لقاء جدة فقد خرج من إجتماعه مع أعضاء مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث ليدوّن على الورق تعليمات مكتوبة تسلمها بعدئذٍ عزة إبراهيم وسعدون حمادي وعلى حسن المجيد، ومما جاء في تلك التعليمات (إطرحوا مطالبنا ولا تنتظروا الجواب) .. لقد كان يخشى حقيقة أن يتم التوصل إلى تسوية في لقاء جدة لأن ذلك كان سيعني تلقائياً إسقاط الخيار العسكري وإلغاء عملية الكويت، ويتشابه هذا الموقف الذي مرّ به بموقف آخر وقع في حزيران "يونيو" 1972 عندما كان نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة ومشرفاً على الجانب العراقي المتفاوض مع شركات النفط الأجنبية التي كانت تدير حقول النفط في كركوك، إذْ شرح بعد سنوات عدة أن ما كان يخشاه هو أن يوافق مفاوضو الجانب الآخر من مديري الشركات على مطالب الحكومة العراقية لأنهم كانوا سيجهضون قرار تأميم النفط وإلغاء التعاقدات القديمة مع تلك الشركات، وكلما تقدم المفاوضون من الطرف الآخر بمقترحات تقترب من المطالب العراقية كان يعود ليزيد من تلك المطالب حتى تنتهي المهلة التي أُعطيت لشركات النفط الأجنبية لقبول مطالب الحكومة العراقية ..

وقد حدث في (جدة) أن الوفد الكويتي وقع في مأزقين مهدا لتنفيذ الخطة المقابلة .. الأول هو الرفض القاطع لمطالب الوفد العراقي والثاني الخروج بإستنتاج خاطئ حول تجميد أي عمل عسكري محتمل من جانب الرئيس صدام حسين.

مرةً أخرى .. كان ما يحدث في (جدة)تكراراً، في ظروف مختلفة، لمشهد قديم جرى تقديمه في (بغـــــــداد) قبل ثماني عشرة سنة.

1990/6/27

كيف تكوّن قرار إستخــــــدام القوة العسكرية ضد الكويت في ذهــــن الرئيس صدام .. ؟ وما هي الواقعة التي فجّرت ذلك النزوع ؟

سيلعب الدكتور سعدون حمادي نائب رئيس الوزراء يومئذٍ دوراً غير مسبوق في إشعار الرئيس صدام حسين بإستحالة التفاهم حول السياسة النفطية مع دول الخليج، فقد عاد يوم 26 حزيران "يونيو" 1990 من جولةٍ خليجية انتهت في الكويت، والتقى مع الرئيس على الفور ليبلغه أمرين:

الأول : هو أن الكويتيين طلبوا إليه تأجيل وصوله إلى الكويت يوماً كاملاً ليتمكنوا من ملاقاة وزير خارجية إيران علي أكبر ولايتي بعد أن كان

هناك موعد متفق عليه قبل ساعةٍ من مغادرته مطار جدة بإتجاه الكويت، وفسر ذلك على أنه مؤشر على عدم إحترام مبعوثٍ شخصي من الرئيس صدام ومعاملته بدرجةٍ أقل إهتماماً من معاملة الوزير الإيراني .. أما الأمر الثاني فكان يتعلق بتفاصيل الحوار الذي دار بين الدكتور حمادي من جهة وكل من الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت والشيخ صباح الأحمد نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية من جهة أخرى، واستنتج المبعوث الرئاسي العراقي أن الشيخ صباح يقف وراء سياسةٍ متشددة من مسألة تحديد سقف إنتاج النفط في الكويت وهو أمر سيظل يؤثر سلباً في مستوى الأسعار السائدة في أسواق النفط العالمية، وانطوى العرض الذي قدمه الدكتور حمادي على تلميحات كثيرة بأنه لم يُعامل بالإحترام الذي كان ينبغي أن يقابل به مبعوث شخصي يوفده الرئيس صدام إلى الكويت ودول الخليج الأخرى، وما كاد ينتهي من ملاحظاته حتى طغت علامات الغضب على ملامح الرئيس الذي طلب على الفور عقد إجتماع عاجل لأشخاص منتخبين من أعضاء القيادة العراقية.

وبالفعل عُقد إجتماعٌ برئاسته ضم كلاً من طه ياسين رمضان وطارق عزيز وسعدي مهدي صالح وسعدون حمادي ولطيف نصيّف جاسم.

كان الغضب يطبع كلام الرئيس وهو يدعو مبعوثه العائد من جولةٍ خليجية ليقدم تقريراً إلى الحاضرين أعاد فيه التركيز على ما عدّه إهانة مقصودة لشخص الرئيس وعدم إحترام لمبعوثه ووصف لهم لقاءه مع أمير الكويت ووزير خارجيته حتى قاطعه الرئيس صدام قائلاً: يجب أن لا يلومنا أحد إذا فتحنا كل الخيارات في التعامل مع الكويت وسيكون الخيار العسكري في مقدمة هذه الخيارات .. إذْ يبدو أن هؤلاء لا يفهمون الكلمات وعلينا أن نستخدم لغةً أخرى معهم.

وتناوب الحاضرون على الحديث لإظهار تأييدهم للرئيس وإيجاد المسوّغات التي تبرر له مضيه في الخيار الجديد الذي وصفه بأنه (لغة أخرى في التعامل مع الكويت).

وقال السيد طه ياسين رمضان :

– عندما لا نكون قادرين على إطعام شعبنا وجيشنا بسبب تدهور أسعار النفط فإن ذلك يعني أن هناك من يريد لنا الهزيمة داخل بيتنا، وإن ما عجزت إيران عن تحقيقه بالحرب ضدنا يمكن أن يتحقق بالوسائل الإقتصادية لإظهار عجزنا كقيادة .. وبالتالي فمن حقنا أن ننقل المعركة إلى الجانب الآخر.

وقال السيد طارق عزيز :

– لقد حان الوقت لكي نقول للعالم إننا أقوياء وإن بمقدورنا أن نقدم عرضاً للقوة لنصل إلى كل ما نريد من أهدافنا.

أما الدكتور سعدون حمادي فقال :

– إنّ التكامل الإقتصادي هو أحد مظاهر الوحدة بين الدول العربية ولن نصل إلى هذا المستوى في العلاقات بالوسائل الدبلوماسية والسياسية ولذلك فإن علينا أن نفرض واقعاً جديداً بالقوة، ولذلك فإنني أؤيد دعوة الرئيس لفتح كل الخيارات في التعامل مع الكويت بما فيها إستخدام القوة العسكرية.

كان الحوار أقرب ما يكون إلى عرضٍ لأفكار مؤازرة للفكرة التي جاء بها الرئيس إلى ذلك الإجتماع، لكن أياً من الحاضرين لم يجرؤ على التصريح بفكرة إحتلال الكويت كاملةً لأن تلك الفكرة لم تكن قد صدرت عن الرئيس صراحةً ولذلك ظلت كلمات المشاركين في الإجتماع تدور في حلقة المفردات التي قالها كما فهموها واستنتجوا منها قصده.

أما الرئيس صدام فلعله كان يريد ضخ جرعةٍ أُولى من الإستعداد في نفوس كبار مساعديه ورفع درجة الإنتباه لديهم وإشعارهم بأن جميع الإحتمالات باتت مفتوحةً أمامه.

كان الهاجس الإقتصـــــادي هو المهيمن على ذلك الإجتماع، ولذلك تحدث بعض الحاضرين عن معضلة وجود مليون جنـــــدي بدون مهمة مع ما تتحمله خزينـــــة الدولة من أعباء إقتصادية ناتجـة عن ازدياد متطلبات إعادة الإعمار وضعف القـــــدرة الشـــرائية والإستعداد

لملاقـــــاة الديون المستحقـــة على العـــراق، ولم يتردد السيد طه ياسين رمضان في القول (عندما يكون لدينا مليــــــون جندي لا نستطيع أن نؤكلهـم فلنرسلهم إلى أرض أخـرى يأكلون من أنعامها).

●●●

وبدا أن عقد إجتماع لوزراء نفط خمس دول هي العراق والسعودية والكويت والإمارات وقطر يومي 10 و 11 من تموز "يوليو" 1990 في مدينة جدة سيحسم الخلافات حول حصة كل دولة، وارتفعت أسعار النفط لتستقر عند حد 19 دولاراً للبرميل الواحد بزيادة نصف دولار عن الأسعار التي كانت سائدة في السنة السابقة، غير أن الرئيس صدام حسين تلقى بغضب شديد تصريحات وزير النفط الكويتي رشيد العميري يوم 15 من تموز التي أعلن فيها أن بلاده لن تلتزم بالإتفاق أكثر من ثلاثة أشهر، ودُعيت القيادة العراقية إلى إجتماع آخر قررت فيه تصعيد المواجهة مع الكويت وتوجيه مـــذكرة إلى جامعة الدول العربيـــة حول كل الموضوعات المتنازع عليها بين البلدين، في حين ضمّن الرئيس صدام خطابه السنوي الذي اعتاد إلقاءه في 17 تموز في كل عام أقســـى عبارات التهديد لكل من الكويت والإمارات.

15/تموز/1995

لقد صدرت بضع إشارات غير مباشرة حول احتمال وقوع مواجهة عسكرية من (نوع ما) و (حجم ما) على خلفية الأزمة السياسية المتصاعدة مع الكويت وفي ضوء ما كان يتردد عن إحتمالات تلقي ضربة جوية إسرائيلية، فوسط تلك البلبلة أمر الرئيس صدام بتوزيع أعداد كبيرة من السيارات الشخصية هدايا على مجموعة منتخبة من رؤساء وسائل الإعلام وقادة الفرق العسكرية وكبار ضباط الحرس الجمهوري والمخابرات والأمن العام، كما منح هدايا مماثلة إلى مجموعة من الطيارين وأعضاء قياديين في فروع حزب البعث، ولم تكن هناك مناسبة مباشرة لإتخاذ تلك الخطوة التي طالما كان الرئيس يلجأ إليها للتعبير عن رضاه عن عمل محدد يكون قد أنجزه أشخاص معينون أو بعد تحقيق إنجاز سياسي أو عسكري كبير، غير أن النصف الثاني من شهر تموز "يوليو" كان مفعماً بأجواء من القلق والتوتر والترقب ولم يكن هناك من إنجاز يستحق أصحابه عشرات السيارات التي جرى توزيعها عليهم .. إنها إذن إشارة لم يكن لتُدرك في حينها، كان المقصود منها رفع درجة الولاء لدى الخط الأول في الأجهزة التي ستُستدعى لتنفيذ عملية عسكرية وسياسية كبيرة.

وذهب ضباط منتخبون إلى القواعد الجوية للإلتقاء بالطيارين، في قاعدة (البكر) و (تكريت) ووزعوا عليهم الطيارين هدايا مالية بإسم الرئيس بعد أن قال لهم أحد مندوبي القائد العام للقوات المسحلة : (إن علينا أن نستعد لمعركة كبيرة .. ففي الحرب مع إيران كنا نقاتل تحت شعار أنا وابن عمي على الغريب .. وقد نقاتل هذه المرة تحت شعار أنا وأخي على ابن عمي ..).

في غضون ذلك تلقى الرئيس سلسلة من الوعود التي تطمئنه إلى وجود قدرة سريعة على إحداث تغيير داخل الكويت على نحو سهل وسريع، فقد أبلغه أخوه غير الشقيق مدير المخابرات سبعاوي إبراهيم أن عناصره بدأت تتسلل إلى مدينة الكويت، وأن لدى جهاز المخابرات قدرة على الإتصال بأحد الطباخين العاملين في قصر أمير الكويت، في حين إستعرض طارق عزيز أسماء عدد من أعضاء البرلمان الكويتي لسنة 1985 باعتبارهم أشخاصاً مهيئين للتعاون مع السلطات العراقية، كما تباهي لطيف نصيف جاسم وزير الإعلام بالعلاقات الحميمة مع عدد من الصحفيين والشعراء الذين أكد قناعته بأنهم سيكونون رهن الإشارة بمجرد إظهار الحاجة إليهم.

لذلك تحمس صدام حسين لفكرة دعوة وفد شعبي كويتي كبـير لزيارة بغداد، وطلب إلى وزارتي الخارجية والإعلام الإتصال بأكبر عدد يمكن جمعه من شخصيات عشائرية وإعلامية ونقابية ومن أعضاء البرلمان الكويتي المنحل، وكانت آمال المسؤولين العراقيين معلقة على حضور مائة شخصية على هذا المستوى لكي يشكل وجودهم في بغداد تظاهرة ضغط سياسية ضد الحكومة الكويتية، ولإستخدامهم كقناة لتمرير

رسالة تثير الخوف والذعر داخل المجتمع الكويتي.

غير أن جمع ذلك العدد من الشخصيات كان يبدو مستحيلاً، فقد أفادت السفارة العراقية في الكويت أن السلطات الكويتية نصحت شخصيات كثيرة بعدم تلبية الدعوة، وأن آخرين كان يشعرون بالحرج من زيارة بغداد وسط مناخ متوتر في العلاقات بين البلدين، وقد أثارت تلك الإشارة غضباً كبيراً في بغداد، إذْ إفترض كبار المسؤولين العراقيين أن الكويتيين الذي أيدوا العراق خلال الحرب مع إيران سيظهرون التأييد نفسه في أية معركة أخرى تختارها السلطات العراقية حتى لو كانت ضد حكومتهم.

وبحلول الخامس عشر من تموز "يوليو" 1990 كان مجموع الأشخاص الذين حضروا إلى بغداد لا يتجاوز ستة عشر شخصاً، معظمهم من الصحفيين الذين كانوا يحضرون بصورة دورية خلال الإحتفالات السنوية التي تجري في شهر تموز "يوليو" من كل عام في العراق. ولم يخطر ببال أعضاء الوفد الكويتي أنهم مقبلون على تلقي رسالة، هي أقرب ما تكون إلى إطلاق شرارة الإنفجار في الأزمة بين البلدين التي ظلت حتى ذلك اليوم رهينة التأويلات غير الرسمية.

كان الرئيس ينتظر حضور مائة شخصية ليلتقيهم شخصياً ويتحدث إليهم كـ(أنصار مضمونين) سيقفون إلى جانبه، غير أن قلة عدد الأشخاص الذين حضورا جعله يتحول عن مشروع اللقاء بهم ليطلب إلى وزير الإعلام الإلتقاء بهم .. وإبلاغهم رسالة صاعقة كان يريد أن يبلغها بنفسه ..

لقد تسنى لي حضور ذلك اللقاء الذي بدأه الوزير على نحو غير مسبوق، فهاجم الشيخ صباح الأحمد وحمّله مسؤولية توتر العلاقات، وأستخدم أوصافاً قاسية ضده، فأُخذ الحاضرون بمفاجأة غير سارة، وأذكر أن شخصين على الأقل من الحاضرين، ردا على الوزير، رافضين الإتهامات التي كان يوجهها، فقد رفض فيصل الدويش ملاحظات الوزير وقال له إنه غير معني بنقل الكلام الذي يسيئ إلى الشيخ صباح .. ودافع عن المسؤول الكويتي بعبارات واضحة وقوية، وكان على الآخرين أن يحاولوا إقناع أنفسهم بأن ما يستمعون إليه أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع، فلطالما استمعوا من الوزير نفسه عبارات الإشادة والإمتنان نحو الشيخ صباح الأحمد أيام كان الرئيس صدام يصف الشيخ صباح بأنه وزير خارجية العراق لما اضطع به من دور خلال الحرب العراقية الإيرانية، لقد شعر الحاضرون بإحراج كبير عندما وجدوا أنفسهم في ذلك المجلس الذي إنفض بمجرد إنتهاء الوزير من إلقاء عبارات القذف والتهديد.

وما كاد أعضاء الوفد الكويتي يغادرون مبنى وزارة الإعلام حتى رفع الوزير سماعة الهاتف ليبلغ مكتب الرئيس : (لقد أبلغتُ الوفد الكويتي بما أمر به السيد الرئيس .. وركزتُ الهجوم على الشيخ صباح .. وسيصلكم خلال ربع ساعة الشريط الكامل للقائي مع الوفد).

1990/7/25

كان بإمكان الدبلوماسية أن تمنع الواقعة، إلا أن الطرفين اللذين تحاورا عشية الحدث قد إنطلقا من رؤيتين مختلفتين وأقصد بهما : الرئيس صدام وسفيرة الولايات المتحدة الأمريكية في بغداد .. فالرئيس أراد أن يتحسس درجة إنتباه الولايات المتحدة للإستعدادات القائمة على الأرض من جهة ولإشعار الدبلوماسية الأمريكية بأنها قد حصلت على علم مسبق بحدث كبير قد يقع في أية لحظة من جهة أخرى .. أما السفيرة إبريل غلاسبي فكانت في وضع مختلف إذْ أنها دخلت إلى الإجتماع دون أن تحصل على تعليمات من الخارجية الأمريكية ودون أن تكون معها رسالة تبلغها إلى الرئيس، ولذلك اكتفت بإظهار التشجيع للجهد الدبلوماسي الهادف إلى تفريغ الأزمة من شحنات التصادم.

ثمة مواقف في تــاريـــخ العلاقات الدولية تحتمل المقارنة..

في 25 آب (اغسطس)1939 استدعى أودلف هتلر السفيرين الفرنسي والبريطاني كلاً على حده وأبلغهما صراحةً أنه قرر إعادة منطقة

"غدانسك" من بولندا إلى ألمانيا .. وكان يعني صراحةً أن الحرب باتت على وشك الإنفجار ما لم يقر الأوربيون بأحقية قراره..

وقد خرج السفير البريطاني هندرسن والسفير الفرنسي كولوندور مقتنعين بأن هتلر كان قد اتخذ قراراً بشن الحرب ولذلك كانت الرسالتان اللتان أبلغاها، منفردين، إلى حكومتيهما واضحتين إلى حد ما : (إن هتلر كان ينذر بأن الحرب ستقع ما لم توافق بولندا على مطالبه).

إن هذا المشهد المنتقى من واقعة جرت قبل ستة أيام من وقوع الحرب العالمية الثانية يشابه في جانب ويختلف في جانب آخر مع ما جرى في لقاء الرئيس صدام حسين مع سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية إبريل غلاسبي قبل سبعة أيام من دخول الكويت.

●●●

في 25 تموز "يوليو" 1990 اتصل وكيل الخارجية العراقية السيد نزار حمدون بسفيرة الولايات المتحدة ودعاها إلى لقاء في مكتبه خالت السفيرة أنه سيكون مشابهاً لتلك اللقاءات التي اعتادت عقدها معه بصورة دورية لمراجعة العلاقات الثنائية ومعاينة المشكلات الإقليمية التي تعني البلدين، ولم يخطر ببالها أنها ستذهب لملاقاة رئيس الدولة، ولذلك لم تشعر بالحاجة للعودة إلى مقر وزارة الخارجية في واشنطن للحصول على تعليمات محددة وجديدة، واكتفت بما كانت قد حصلت عليه من موقف سياسي قبل 48 ساعة.

●●●

لم يكن ليخطر في بال السفيرة أن لقاءها مع سفـــير الكويت السيد إبراهيم البحوة قبل ثلاثة أيام من لقائها مع الرئيس صدام، كان تحت المراقبة، وقد جرى توثيقه من قبل أجهزة الأمن العراقية بحيث أُتيح للرئيس أن يطلع على عبارات القلق التي عبر عنها السفير الكويتي إزاء الحشود التي أكدتها السفيرة من جانبها ووعدت بنقل ما أفادها به السفير البحوة إلى وزارة الخارجية في واشنطن.

لقد إستاء الرئيس صدام من ذلك اللقاء، وطلب من وسائل الإعلام، مهاجمة السفير والسفيرة لإبلاغهما بأن اللقاء الذي جرى بينهما كان تحت المراقبة والرصد.

●●●

معروف الآن كيف وجدت غلاسبي نفسها وجهاً لوجه أمام الرئيس صدام الذي وصفته في تقريرها إلى ا لخارجية الأمريكية بأنه كان متوتراً وعصبياً طوال المقابلة حتى تلقى مكالمة هاتفية من الرئيس حسنى مبارك يبلغه فيها بنجاح زيارته إلى الكويت واتفاقه على عقد إجتماع في جدة بين السيد عزة إبراهيم والشيخ سعد العبدالله، وتقول غلاسبي إن الرئيس صدام بدا سعيداً ومستريحاً بعد المحادثة الهاتفية وأبلغها بأنه بات مطمئناً إلى أن الأزمة هـي في طريقها إلى الحل.

وتقول غلاسبي أيضاً إنها عادت إلى السفارة لتعد تقريراً مفصلاً من ست صفحات نقلت فيه ما قاله الرئيس العراقي ولم تضع ما كانت قد قالته هي في ذلك اللقاء لأنها وجدت أن الصحيح والأهم هو أن تنقل ما استمعت إليه من أقوال رئيس الدولة العراقية وخاصة قوله بأنه لا يقبل بتهديدات الولايات المتحدة وأنه يريد لهذه التهديدات أن تتوقف، وأشارت إلى انفراج محتمل في الأزمة بعد نجاح مهمة الرئيس المصري في الكويت، لكنها لم تشر مطلقاً إلى إحتمال احتلال الكويت عسكرياً ..

وخلا تقريرها من الإشارة إلى ما كانت قد قالته من أن الولايات المتحدة لن تتدخل في النزاعات بين الدول العربية.

●●●

في تجربة الحرب العالمية الثانية كانت جميع الأطراف تعرف ما الذي تريده، تستطيع نقل رسائلها، وتتلقى الإشارات بوضوح من الطرف المقابل، كما كانت التحالفات تنشأ في العلن، بريطانيا توقع معاهدة مع بولندة، وألمانيا تصل إلى إتفاقية عدم إعتداء مع روسيا، وتقترح اتفاقية مماثلة على لندن، وتقبل في الأيام الأخيرة إجراء مفاوضات مع بولندة حول (غدانسك)، ورئيسا وزراء بريطانيا وفرنسا يرسلان مذكرات مسهبة إلى هتلر الذي يلتقي سفراء الدول الأوروبية الأخرى ويحاورهم في احتمالات الحرب. لقد كانوا يتحدثون عن حرب محتملة .. كانت تبدو قادمة أمام الجميع.

أما في حالة الصراع على الخليج، والخلاف بين العراق والكويت، فلم تكن هناك دبلوماسية حقيقية، لأنّ الصورة كانت مضببة وقد تصرف كل طرف على النقيض مما كان يفكر به، وربما أراد الرئيس صدام أن يستخدم إتصالاته الدبلوماسية مع الملك حسين والرئيس المصري والسفيرة غلاسبي لخلق إنطباع مخالف لم كان قد قرره فعلاً، فقد خرج جميعهم بإستنتاج مستقر حول تراجع احتمال المواجهة العسكرية بإفتراض أنّ الازمة ستجد الحل عبر الوسائل السياسية من خلال لقاء (جدة)، وربما كان ذلك هو السبب الكامن وراء ردود الفعل الغاضبة من جميع الأطراف التي شعرت أنها تعرضت لما تصفه بمخادعة من نوع ما.

كان الهاجس المثير للقلق لدى الرئيس صدام هو تكرار ما حدث سنة 1961، لذلك فإنه لا يشعر بالحرج من إتهامه بالمخادعة التي يعتقد أنها كانت جزءً من استعداداته العسكرية والسياسية .. وقد قال ذلك بصراحة في نهار الثاني من آب "أغسطس" 1990 عند أول حديث له مع مساعديه أعضاء القيادة العراقية بعد ساعات من دخول الكويت : (لقد افتقد عبدالكريم قاسم عنصر المفاجأة، ظل يطبل ويزمر وهو يتحدث عن الكويت دون أن يقوم بعمل جدي مما أعطى البريطانيين والمصريين الوقت الكافي لإجهاض خطته وإرسال جنودهم لتحجز بينه وبين الكويت .. وها نحن نقدم عرضاً آخر ومختلفاً عن ذلك العرض السياسي والعسكري الذي قدمه عبدالكريم قاسم قبل ثلاثين سنة).

لقد خلا محضر اللقاء مع غلاسبي من مفردة (الحرب) و (الوسائل العسكرية) لكنه احتوى على تعبيرات غير مباشرة توحي باستخدام القوة العسكرية مثل (اللجوء إلى كل الوسائل) و (البحث عن طريق آخر للحصول على حقوقنا)، وكان على السفيرة أن تجتهد لتخمين المقاصد المخفية من الكلام الذي استمعت إليه، لقد قالت كلاماً يكاد أن يكون مكرراً من أمثال الدعوة للحوار واللجوء إلى الدبلوماسية وعدم التدخل في الخلافات بين الدول العربية، لكن إلتقاط كلامها قد تم نحو مختلف، لأن الرئيس كان في حاجة ليملأ الفجوات في خطة جاهزة للتنفيذ .. وقد استقرت كلمات السفيرة في بعض تلك الفجوات لتعطي الإنطباع الخاطئ بأن الولايات المتحدة ستتفرج على حدث بالحجم الذي وقع ..وأذكر أن نص المحضر الذي قُدم إلى الرئيس بعد إنتهاء اللقاء قد احتوى على خطوط وضعها صدام حسين بقلمه تحت أقوال غلاسبي التي أشارت فيها إلى أن الولايات المتحدة ليست معنية بالتدخل في أي خلاف بين دولة عربية وأخرى، وأنها تنتظر من الدول العربية أن تحل المشاكل العالقة بينها بنفسها..

قد تكون الحرب و الدبلوماسية الوسيلتين المتاحتين لبلوغ أهداف واحدة ، لكن الدبلوماسية في هذه الحالة ليست مجرد كلام، إنها أفعال تقع على الأرض .. في المسافة ما بين أقدام الجنود ونيران المدافع .. وإذا انقطعت الصلة في ميدان الصراع بين الكلمات وحركة الجنود، لا يعود ما يحدث دبلوماسية .. بل مكائد وأفخاخ .. وإضاعة للوقت ..

●●●

ومن المناسب التنويه هنا بجانب مهني أساسي في هذه المسألة، إذْ أن غلاسبي شخصية واقعية ومتواضعة بطبيعتها، وهي ليست من نمط السفراء الذين ينسبون لأنفسهم أدواراً كبيرة ويدعون أنهم أثّروا في الأحداث فينقلون أقوالهم التي أدلوا بها إلى زعماء الدول في التقارير التي يرسلونها إلى وزارات الخارجية، ولذلك فإنها لم تنقل قولها للرئيس العراقي (بأن الخلاف بين العراق والكويت هو شأن خاص بهما كدولتين عربيتين متجاورتين) لأن مثل ذلك الكلام كان بالنسبة لها مجرد تأكيد لسياسة أمريكية معلنة، ويكاد أن يكون من الثوابت في أي عرض دبلوماسي يقدمه سفراء الولايات المتحدة بصورة روتينية في كل مناسبة.

أما الرئيس صدام فيبدو أنه كان يعوّل كثيراً على كلام السفيرة، وقد يكون بذلك أوقع نفسه في فخ لم ينصبه له أحد، كما أن طارق عزيز الذي يفترض فيه أنه شخصية دبلوماسية لم يلتقط الملاحظات التي أحاطت بما دار من حديث ولم يفسر ظروف عقد اللقاء ولم يشرحها لرئيسه بل خرج هو أيضاً بإنطباع مريح بأن الولايات المتحدة لن تتدخل إذا انفجر صراع عسكري على خلفية المشاكل السياسية والمالية المعلنة بين العراق والكويت.

لقد خرج الرئيس من ذلك اللقاء منتشياً ليقول لبعض مساعديه (إنه أعطى السفيرة درساً في الدبلوماسية لن تنساه الولايات المتحدة أبداً ..).
غير أن جوهر المشكلة تتركز في أن ذلك الإتصال الدبلوماسي كان يمر في قناة مسدودة .. فلا الرئيس صرّح بالنيات ولا السفيرة أدركتها، لذلك لم يكن متاحاً أن تصدر برقيات مشابهة لتلك التي بعث بها السفيران (هندرسن) و (كولوندور) إلى كل من لندن وباريس يوم حذرا بأنّ الحرث العالمية الثانية كانت واقعة محالة ..فالجهد الدبلوماسي يكون كاملاً عندما يعرف طرفاه نوع الرسالة التي يريد كل منهما تبليغها أو إلتقاطها، وإلا لا يعدو مثل ذلك الحوار غير همـــــس بين الطرشـــــــان.
وعندما يكتب تاريخ ما حدث لا يتوجب التعويل كثيراً على لقاء من ذلك النوع الذي جرى قبل أسبوع من الواقعة .

1990/7/30

عاد وزير الإعلام من اجتماع طارئ مع الرئيس وحسين كامل وطلب قائمة بأسماء نخبة من المذيعين ومهندسي البث الإذاعي والتلفزيوني ومخططي البرامج، وتظاهر أنه يريد أن يمنح هؤلاء الأشخاص هدايا كبيرة باعتبارهم موظفين مميزين في عملهم، وانتقى بنفسه عشرة أشخاص من بين الأسماء التي عُرضت عليه وطلب إحضارهم على الفور.
لقد هرعوا جميعاً كما كان متوقعاً على أمل أن يحصلوا على الهدايا الموعودة، فطلب إليهم الوزير أن يتوجهوا إلى مبنى هيئة التصنيع العسكري ملُمحاً إلى أنهم سيجدون من سيعتني بهم هناك، وافترض المهندسون والإذاعيون أنّ أحداً سينقلهم من هيئة التصنيع العسكري إلى القصر الجمهوري ليحصلوا هناك على الهدايا المنتظرة.
مضت عليهم ساعتان في إحدى صالات الإنتظار في هيئة التصنيع العسكري قبل أن يدخل عليهم الفريق حسين كامل وفوجئوا به يخاطبهم :
– ما هذا .. يبدو أنكم لم تجلبوا معكم احتياجاتكم الشخصية التي ستستخدمونها خلال المبيت.
وذُهل الحاضرون .. فقد تراءت أمامهم صور أولئك الذين كانوا يُستدعون على عجل ليجدوا أنفسهم بعدئذٌ نزلاء في أحد المعتقلات، غير أنه قطع عليهم لحظة الذهول وقال : لديكم ساعتان .. إذهبوا إلى بيوتكم وعودوا إلى هنا مرة أخرى بعد أن تُبلغوا عوائلكم بأنكم ستكونون في واجب قد يستمر طويلاً.
بعد ساعتين التقى الأشخاص العشرة ثانيةً في مبنى هيئة التصنيع العسكري ليجدوا من يأخذهم إلى دائرة الإستخبارات العسكرية حيث طلبوا إليهم استبدال ملابسهم المدنية بملابس عسكرية، لكن الصورة لم تتضح أمامهم تماماً، لقد قيل لهم إن علاقتهم بالعالم الخارجي قد تعطلت ولن يستطيعوا الإتصال بعوائلهم وزملائهم حتى تنتهي المهمة التي سيرسلون إليها.
أمضوا ليلتهم في دائرة الإستخبارات العسكرية بمنطقة (الكاظمية)، وجرى إيقاظهم فجر الأول من آب حيث اصطحبهم ضابط كبير إلى قاعدةٌ جوية ونقلتهم من هناك طائرة هليكوبتر إلى البصرة، وكان عليهم أن ينتقلوا من هناك إلى .. داخل الأراضي الكويتية.
لقد قيل لهم عندئذ إن مهمتهم هي البحث عن موقع مناسب في عمق ثلاثين كيلومتراً داخل الكويت لتأسيس محطة إرسال إذاعي أولاً، ثم تحديد موقع لأقرب مرسلة تلفزيونية كويتية يمكن أن تُركّب عليها أجهزةٌ تقطع الإرسال الكويتي وتحل بديلاً عنه بثاً تلفزيونياً آخر.
كان على الجميع أن يسيروا بملابس الجنود في معية ضابط يدلهم على اتجاه المرسلات الموجودة في منطقة (الصليبخات)حتى وصلوا إلى مسافة كيلومترين عنها.
كانت الخطة التي يعلم بها ثلاثة أشخاص فقط عدا الرئيس (هم حسين كامل، ولطيف نصيّف، ومدير الإستخبارات العسكرية) تقضي بتأسيس مركز للبث الإذاعي والتلفزيوني يمكن استخدامه لإذاعة بيانات (الإنقلاب) الذي سيعلن عنه كغطاء لعملية الكويت، وتعيّن على الفنيين أن يبحثوا عن وسيلة لتأمين الإتصالات بين المحطة التي سيؤسسونها في الكويت والمرسلات التلفزيونية والإذاعية المنصوبة فوق جبل (سنام)جنوب العراق.

●●●

بعد أربع وعشرين ساعة إجتاحت قوات الحرس الجمهوري الكويت، غير أن الفنيين فشلوا في تأسيس محطة للإرسال الإذاعي، ولذلك لم يجد الإذاعيون غير بث بيانات (الإنقلاب) الكويتي عبر محطة الإذاعة الرسمية من بغداد، ثم اتخذوا من إذاعة البصرة ومحطة تلفزيونها مركزاً للبث باسم (إذاعة الكويت الحرة) التي ظلت تنطق عن حكومة غير موجودة .. قبل أن تلوذ بالصمت بعد ثلاثة أيام فقط.

1990/8/1

وصل عزة إبراهيم مساء الأول من آب "أغسطس" إلى مطار بغداد عائداً من المدينة المنورة بعد حضور اجتماع عُقد في (جدة) مع ولي عهد الكويت، وكان في استقباله طه ياسين رمضان كما جرت العادة دائماً، ولم تمضه غير دقائق على دخوله صالة الإستقبال حتى تبلغ الحاضرون بأمر من مكتب رئيس الجمهورية يلزمهم بعدم مغادرة المطار وأمضوا ساعة كاملة في صالة الإنتظار قبل أن يصل الرئيس صدام حسين إلى المطار دون أن يكون بمعيته موكب رسمي.

إنفرد الرئيس بنائبه، ووجه إليه سلسلة من الأسئلة حول ما دار في اجتماع جدة ..لم يحدث أن ذهب رئيس الجمهورية ليلاقي أحد مبعوثيه في المطار، لكن الأمر هذه المرة استوجب وقوع ذلك، كان هناك سباق مع الزمن، فقرار عبور الحدود نحو الكويت هو على وشك الدخول إلى حيز التنفيذ، ولعل الرئيس أراد التيقّن بأن لقاءْ (جدة) قد سار بموجب التعليمات التي كان قد أعطاها لنائبه وأعضاء الوفد المرافق له وأن الوفد الكويتي قد عاد معلقاً بين احتمال عقد لقاء آخر وعدم الحصول على نتيجة حاسمة من الإجتماع.

في غضون ذلك صدرت أول إشارة دالة على تحول حاسم في الموقف من اجتماع (جدة) فقد أُذيع خبر عبر تلفزيون بغداد عند الساعة الثامنة مساءً يشير إلى عودة الوفد الحكومي من جدة بعد لقاء مع (سمو الشيخ سعد العبدالله) ولي عهد الكويت، غير أن الخبر أُذيع ثانية في الساعة العاشرة بعد حذف مفردتي (سمو الشيخ) عن إسم ولي العهد الكويتي، وقد جرى ذلك بناء على تعليمات سريعة صدرت عن حامد حمادي سكرتير رئيس الجمهورية، .. ولم يكن هناك من يلتقط تلك الإشارة في الساعات الأخيرة التي سبقت عبور قوات الحرس الجمهوري الحدود مع الكويت.

أمضى عزة إبراهيم وقتاً قصيراً في منزله قبل أن يذهب لحضور الإجتماع الأخير الذي أعطى إشارة البدء لعملية الكويت.

كان هناك سبعة أشخاص في انتظاره وهم : طارق عزيز وطه ياسين رمضان وحسين كامل ولطيف نصيّف جاسم وأحمد حسين وحامد حمادي ومرافق الرئيس عبد حمود..بدأ عزة إبراهيم في إيجاز الحاضرين بما جرى في جدة، قبل أن يدخل الرئيس صدام مكان الإجتماع ليوزع المهمات على الحاضرين ويحدد أسلوب الإعلان عن بدء العمليات العسكرية.

لقد تقرر أن يتولى طارق عزيز وحامد حمادي ولطيف نصيّف إعداد صيغة بيانين، الأول يعلن عن (وقوع حركة انقلابية في الكويت) ويُوقع بإسم (حكومة الكويت الحرة المؤقتة) .. أما البيان الثاني فيعلن بإسم مجلس قيادة الثورة عن الإستجابة لطلب (حكومة الكويت المؤقتة) لتقديم المساندة العسكرية والسياسية.

وتقرر أيضاً أن يتعاون الثلاثة (طارق – حامد – لطيف) مع مدير المخابرات وحسين كامل للبحث عن أشخاص كويتيين يشتركون في حكومة تحمل الإسم الذي سيجري توقيع البيان بإسمها.

كما تقرر إعداد خبر مقتضب يشير إلى فشل إجتماع جدة، على أن يذاع عند الساعة الثانية فجراً في وقت تكون فيه قوات الحرس الجمهوري قد عبرت منطقة الحدود.

وكانت آخر جملة قالها الرئيس في ذلك الإجتماع : يا ويل المطلوب لنا .. لن تلبس أمه غير السواد ..

ولم يسمح للمشاركين في الإجتماع (عدا حسين كامل) بمغادرة المكان إلا بعد بدء العمليات العسكرية، وكان الإتصال الوحيد الذي سُمح بإجرائه هو إبلاغ الإذاعة بنص الخبر الذي جرى إعداده حول (فشل إجتماع جدة) وتحديد موعد إذاعته متأخراً في آخر نشرة للأخبار قبل إنتهاء بث الإذاعة.

في غضون ذلك سأل صدام سكرتيره : هل تعتقد أن الكويتيين سيرفعون درجة إستعدادهم إذا انتبهوا إلى تغيير صيغة الخبر .. ؟

فأجاب السكرتير : لم يعد هناك ما يكفي من الوقت .. فقد بدأ تسلل أفراد الحرس بأسلحتهم الخفيفة ساعة إذاعة الخبر.

كان حسين كامل أول الأشخاص الذين غادروا مكان الإجتماع حيث استقل طائرة هليكوبتر في اتجاه البصرة(وكان بمعيته اللواء الطيار الحكم حسن علي التكريتي) ليشرف على العمليات العسكرية بعد أن كان قد سبقه إلى هناك كل من علي حسن المجيد وسبعاوي إبراهيم مدير المخابرات وصابر الدوري مدير الإستخبارات العسكرية وإياد فتيح الراوي قائد الحرس الجمهوري، وهم الأشخاص الذين شكلوا أول غرفة عمليات في مدينة البصرة، ولعلهم الوحيدون الذين عرفوا بساعة الصفر قبل موعدها بخمس ساعات على الأقل، أما الآخرون من قادة الفرق العسكرية والقوات الجوية فلم يعرفوا بموعد بدء العمليات العسكرية إلا لحظة المباشرة بالحركة عند الواحدة بعد منتصف الليل ..